الهجرة غير النظامية لأفارقة جنوب الصحراء: المظاهر والتداعيات

د. عزيزة لشهب
Lachhebaziza502@gmail.com
علي اللومي
alielloumi62@gmail.com
جامعة صفاقس/ تونس

الملخص

الهدف الرئيسي من هذا البحث هو المساهمة في الأدبيات المتعلقة بظاهرة الهجرة غير النظامية لأفارقة جنوب الصحراء إلى تونس ، من خلال استغلال مصادر البيانات الجديدة التي تسمح لنا بمراعاة خصائص معينة لأنظمة الهجرة الأفريقية. فهو يأخذ في الاعتبار، من ناحية، أهمية عدم تجانس سياقات المنشأ والاستقبال، وأنماط الهجرة المعقدة التي تتجاوز التحركات أحادية الاتجاه من بلد المنشأ إلى بلد المقصد، وملامح المهاجرين، والبعد الطولي لمسار المهاجرين.من جهة أخرى، الانعكاسات السلبية للهجرة غير النظامية لأفارقة جنوب الصحراء إلى تونس، وصعوبات التعايش بين المهاجرين والمقيمين التونسيين، من خلال اعتماد المقاربات الكمية والنوعية في جمع وتحليل البيانات الميدانية. أثبتت النتائج خطورة الهجرة العشوائية وتداعياتها الاجتماعية والنفسية والاقتصادية والديموغرافية والصحية والبيئية على الفئات غير المتجانسة المقيمة في نفس المنطقة الجغرافية من المجتمع التونسي. بالإضافة إلى ذلك، كشفت عن بعض المحددات الاجتماعية والاقتصادية مثل الفقر والبطالة والتسول والتمييز العنصري والعنف بجميع أشكاله. تشير هذه النتائج أيضا إلى أن الهجرة غير النظامية تعتمد أيضا على الخصائص الفردية وظروف المغادرة إلى أوروبا.

الكلمات المفتاحية: الهجرة غير النظامية، الأفارقة، جنوب الصحراء، صعوبات التعايش، المحددات الاجتماعية، تونس.

Irregular Migration of Sub-Saharan Africans: Manifestations and Implications (A Descriptive Inductive Micro-Socio-Demographic Study of the Migrants' Reality in Tunisia)

Aziza Lacheb
Ali elloumi
University of Sfax \ Tunisia

Abstract

The main objective of thisresearchis to contribute to the literature on the migration of sub-SaharanAfricans to Tunisia, by exploiting new data sources thatallow us to takeintoaccount certain characteristics of African migration systems. It takesintoaccount, on the one hand, the importance of the heterogeneity of the contexts of origin and reception, the complex patterns of migration that go beyondunidirectionalmovementsfrom a country of origin to a destination, the profile of migrants and the longitudinal dimension of the migrants' trajectory. On the other hand, the negativerepercussions of the irregular migration of sub-SaharanAfricans to Tunisia, and the difficulties of coexistence between migrants and Tunisianresidents, by adopting quantitative and qualitative approaches in collecting and analyzingfield data. The resultsproved the seriousness of random migration and its social, psychological, economic, demographic health, and environmentalrepercussions on heterogeneous groups residing in the samegeographical area of Tunisian society. In addition, they have uncovered certain socio-economicdeterminantssuch as poverty, unemployment, begging, racial discrimination, and violence in all itsforms. Theseresultsalsoindicatethatirregularityalsodepends on individualcharacteristics and circumstances of departure for Europe.

Keywords: Irregular migration,Sub-Saharan Africans, coexistence difficulties, social determinants, Tunisia

مقدمة

عديدة هي الظواهر التي تناولتها الديمغرافيا الاجتماعية بدراسة وتقصي معدلات النمو وتغيرات الحركة السكانية ومتابعة تركيبة وحجم السكان، وتحليل أوضاعهم اليومية وشواغلهم المعيشية، مستعملة في ذلك مناهج كمية وكيفية تستدعي استعمال تطبيقات المنهج السوسيو-ديمغرافي باعتباره "فرع معرفي داخل حقل العمل الاجتماعي، عند تناول دراسته للمجتمع بالتحليل في نشاطه اليومي[١] وذلك في سعي الى شرح مؤثرات الظاهرة بكشف مظاهرها وأسباب

[١]- عبد الفتاح الزين، السوسيولوجيا في المغرب من اعلان الحماية الفرنسية الى المرحلة الراهنة، المستقبل العربي، عدد ١٤٦، لبنان،١٩٩١ ص ١٢٢- ١٢٣

حدوثها. وهو ما يساعد الباحث على بناء توقعات مستقبليةحولها من خلال النتائج والمؤشرات المتوفرة عنها، وتبدو صعوبات الواقع الاجتماعي في علاقته بظاهرة الهجرة غير النظامية لأفارقة جنوب الصحراء أبرز مثال في العمل على تحليل أحد الظواهر الاجتماعية المستحدثة، المتفاقمة والمتجددة اللامتناهية. المؤرقة للبشر والمرتبطة بمؤثرات العوامل الداخلية والخارجية للسياسات الدولية، المساهمة في تغيير الخارطة الديمغرافية الاقليمية والعالمية للبنى والكتل السكانية.التي أصبحت اليوم وفي عصرنا الحالي، تتشكل حسب موازين القوى ونوعية الظواهر المستحدثة خاصة في العشريتين الأخيرتين، بعد ثورات ما يسمى "بالربيع العربي" في ظل واقع اجتماعي واقتصادي وسياسي هش يتطلب تحليل ما يحدث من تغيرات سريعة على أرض الواقع.

وتترجم ظاهرة الهجرة غير النظامية، المظاهر اليومية لمستويات العيش المشترك. وتبرز مدى تأقلم الأفراد والمجموعات غير المتجانسة مع بعضها البعض ،ومدى تعايشها في بيئات مستحدثه، متغيرة ومختلفة عن البيئات الأصلية التي تنتمي اليها.أين كان المجتمع التونسي منذ سنة ٢٠١١ وبالأخص في السنوات الأخيرة من العشرية الثانية للثورةالتونسية، مسرحا وفضاء لموجات هجرة عشوائية غير مسبوقة. في حركات عبور داخلية وخارجية للمعطلين والمفقرين والمحبطين اجتماعيا من التونسيين في اتجاه أوروبا أو توافد أفارقة جنوب الصحراء على البلاد التونسية عبر الحدود الترابية لدول الجوار ليبيا والجزائر، بهدف العبور الى السواحل الايطالية مستعملين في ذلك ما يسمى بـ "قوارب الموت" حيث ساهمت هذه الاتجاهات والحركات الهجرية المكثفة والجديدة في جعل وضع البلاد معقدا للغاية اذ تحول من بلد مصدر للمهاجرين كلاسيكيا الى بلد عبور واستقبال في الآن ذاته[١]

فالسؤال المطروح هو: هل يمكننا الحديث اليوم عن مظاهر وتداعيات سلبية، في ظل انتشار ظاهرة الهجرة غير النظامية لأفارقه جنوب الصحراء بتونس؟ ما تأثير ذلك على المعاش اليومي للمهاجرين؟

الاطار المنهجي للدراسة

الاشكالية الرئيسية والاشكاليات الفرعية

هل تشكل ظاهرة الهجرة غير النظامية لأفارقة جنوب الصحراء، معضلة حقيقية، لها مظاهر وتداعيات على المهاجرين غير النظامييننبالمجتمع التونسي؟ ماهي المظاهر والتداعيات الاجتماعية والنفسية والاقتصادية والديمغرافية والبيئية والصحية لظاهرة الهجرة غير النظامية؟

فرضيات الدراسة:

[١] Tunisie Terre d'Asile٢٠١٦- رسم ملامح المهاجرين: مكونات المشهد الهجري في تونس
https ;//www.france – terre – asile – Org/ images / stories / news letters / portraits% ٢٠de%٢٠ migrants.pdf

للهجرة غير النظامية مظاهر وتداعيات سلبية على المهاجرين المقيمين بالمجتمع التونسي. كما لها مظاهر وتداعيات اجتماعية ونفسية واقتصادية وديمغرافية وكذلك مظاهر وتداعيات بيئية وصحية.

أهداف الدراسة

تسعى هذه الدراسة الى التعرف، على مظاهر الهجرة غير النظامية وتداعياتها السلبية على الحياة اليومية لمهاجري أفارقة جنوب الصحراء.ودراستها دراسة موضوعية،علمية بالاعتماد على نتائج ميدانية قريبة ومطابقة للواقع المعاش.

الاطار المنهجي للدراسة

الدراسة ذات طابع كمي وكيفي، تم استخدام المنهج الوصفي التحليلي، للتمكن من تشخيص الظاهرة ومحاولة الكشف عن مختلف جوانبها وخفاياها، بالسعي الى تحديد العلاقة بينها وبين الظواهر الناتجة عنها.

مجال البحث

لإجراء الدراسة الميدانية وقع اختيارنا على "حي بن سعيدة، وهو حي شعبي ينتمي الى منطقة "صفاقس" أين تتمركز مجموعات من أفارقة جنوب الصحراء، المهاجرين غير النظاميين. حيث يتواجدون ويتجمعون بمقاهي شعبية بالحي المذكور، أين وزعت استمارة الاستبيان عليهم بصفة عشوائية. مع ضبط وتوزيع العدد بالتساوي بين جنسي الذكور والاناث.

أدوات البحث

لقد استخدمنا الاستبيان كأداة لجمع البيانات اللازمة، باعتبارها أنسب أدوات البحث العلمي التي تتفق مع معطيات الدراسة، وتحقق أهدافها المسحية. بغرض الحصول على معلومات وحقائق موضوعية، تترجم الواقع المعاش للمهاجر.

عينة الدراسة

نظرا لعدم توفر قاعدة بيانات رسمية حول عدد مهاجري أفارقة جنوب الصحراء غير النظاميين، اعتمدنا في هذه الدراسة على العينة العشوائية البسيطة في اختيار أفرادها، وشملت مجموعة من أفارقة جنوب الصحراء، تتكون من ٦٠ عنصرا. موزعة بالتساوي بين الاناث والذكور، تتراوح أعمارهم بين ٢٠ و ٤٩ سنة.

جدول1 : تمثيلية العينة العشوائية من أفارقة جنوب الصحراء

مستوى الأغمار	ذكور	اناث
٢٠ – ٢٤	٣	٢
٢٥ – ٢٩	٤	٩
٣٠ – ٣٤	٥	٨
٣٥ – ٣٩	٩	٥

٤٠ – ٤٤	٧	٣
٤٥ – ٤٩	٢	٣
المجموع	٣٠	٣٠
	٦٠	

المصدر: البحث الميداني

طريقة توزيع الاستبيان

وزعت استمارة الاستبيان، على العينة العشوائية، وتكونت من جزئين: جزء أول تعلق بالمتغيرات المستقلة للدراسة كالعمر، المؤهل التعليمي، الجنس. أما الجزء الثاني من الاستبيان فتكون من أربع محاور رئيسية، يضم كل محور جملة من العناصر ذات العلاقة بخفايا الظاهرة، واشتملت على ١٣ سؤالا، تم تجميع وتحليل معطياتها. التي أفرزت نتائج واستنتاجات حول مظاهر وتداعيات الهجرة على المهاجرين في علاقتهم بالمجتمع.

محاور الدراسة

المحاور	الأسئلة
المحور الأول: في باب المظاهر والتداعيات الاجتماعية للهجرة غير النظامية على المهاجرين	–السؤال الأول حول معيقات التواصل اللغوي الاجتماعي –السؤال الثاني حول مظاهر التنمر والميز العنصري –السؤال الثالث حول مظاهر العنف المادي والمعنوي –السؤال الرابع حول مظاهر الفقر والتسول
المحور الثاني: في باب المظاهر والتداعيات النفسية للهجرة غير النظامية على المهاجرين	–السؤال الأول: حول التحديات النفسية والعاطفية للمهاجر –السؤال الثاني: حول ظاهرة الاشاعة والرفض والاستبعاد –السؤال الثالث: حول مشاعر القلق والكره تجاه الآخر.
المحور الثالث: في باب المظاهر والتداعيات الاقتصادية للهجرة غير النظامية على المهاجرين	–السؤال الأول: حول الوضعية الاقتصادية والتشغيلية –السؤال الثاني: حول الاستغلال الاقتصادي للمهاجرين السؤال الثالث: حول عزوف المؤجرين على تشغيلهم
المحور الرابع: في باب المظاهر والتداعيات الديمغرافية والبيئية والصحية للهجرة غير النظامية	–السؤال الأول: حول ظاهرة الانفجار الديمغرافي –السؤال الثاني: حول ظاهرة المواليد الجديدة للمهاجرين –السؤال الثالث: حول انتشار الأوبئة والأمراض المعدية

نتائج الدراسة والمناقشة

المظاهر والتداعيات الاجتماعية للهجرة غير النظامية

شمل المحور، المظاهر والتداعيات الاجتماعية للهجرة غير النظامية لمهاجري أفارقة جنوب الصحراء. ويكون عرض وتحليل عناصره، معتمدا على نتائج استجوابات أفراد العينة عبر استمارة الاستبيان. حيث تكون الأسئلة موجهة في جانب منها ومفتوحة في البعض الآخر، وذلك بقصد جمع النتائج وتحليلها. ويتكون هذا المحور من: أربعة أسئلة رئيسة تمحورت حول، جملة الظواهر الناتجة عن الهجرة العشوائية. وتتمثلت في التساؤل حول معيقات التواصل اللغوي

والاجتماعي ثم مدى تعرض المهاجر الى التنمر والميز العنصري والعنف المادي والمعنوي، إضافة الى مظاهر الفقر والتسول ومحاولة معرفة، الوضع الاجتماعي للمهاجر.

١. صعوبات التواصل اللغوي والاجتماعي

وجه احد أسئلة الاستبيان الخاص بصعوبات التواصل الى عينة الدراسة من أفارقة جنوب الصحراء، المهاجرين غير النظاميين، وكانت النتائج كالآتي:

جدول 2 : قياس نسب التواصل اللغوي والاجتماعي العلائقي لدى المهاجرين

مستوى التواصل	تواصل لغوي واجتماعي علائقي مع المواطنين التونسيين			
	اناث		ذكور	
جيد	١	%٣.٣	٢	%٦.٦
متوسط	٤	%١٣.٣	١١	%٣٦.٦
ضعيف	١٦	%٥٣.٣	١٣	%٤٣.٣
منعدم	٩	%٣٠	٦	%٢٠
المجموع	٣٠		٣٠	

نتائج العمل الميداني :

بينت نتائج الدراسة أن للهجرة غير النظامية تأثيرات وتداعيات اجتماعية سلبية على التعاملات اليومية بين المجموعات الوافدة من مهاجري أفارقة جنوب الصحراء والسكان الأصليين المستقرين. وتتمثل مظاهرها وتداعياتها الأولية في صعوبات التواصل اللغوي، الذي يساهم في تعطل محركات التواصل بسبب عدم اتقان المهاجر للغة ولهجات السكان المتعددة. ويعتبر ذلك عقبة رئيسية أمام اندماجه الاجتماعي وقدرته في الحصول على وظيفة[١] يؤمن بها معيشته اليومية. وهو ما يؤثر سلبا على نسب تعايشه في المجتمع، باعتبار وأن اللغة هي الوسيط الذي يمكن أن يتحقق فيه نوع من التفاهم[٢] وهو ما أكده "هابرماس" في نظريته حول التواصل، والتي اعتمد من خلالها على أهمية البعد اللغوي في انجاز عملية التواصل بين الناس. اذ يقول، بأن القدرة على التواصل لا توجد الا في اللغة. كما أن الفعل التواصلي عند "هابرماس" يستمد بواعثه من مفهوم العقلانية التواصلية، التي تمارسها "ذات قادرة على الكلام والفعل بهدف التوجه نحو

[١]– فاتن مساكني: المنتدى التونسي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية، تونس، ٢٠١٩، ص٢٨

[2]– *Habermas, Jürgen (1984) [1981]. Théorie de l'action communicative, Volume Un : Raison et rationalisation de la société (Livre). Traduit par Thomas A. McCarthy . Boston, Massachusetts : BeaconPress. ISBN 978-0-8070-1507-0.* p99

التفاهم بين الذوات.[١] كما أن تعطل محركات التواصل اللغوي تعيق التواصل العلائقي والاجتماعي بين الناس، وهو ما يبينه الجدول من نسب ضعيفة للتواصل. كما يؤثر متغير الجنس في النتائج، حيث تكون نسب التواصل اللغوي والاجتماعي العلائقي، مرتفعة لدى الذكور أكثر منها لدى الاناث. ولعل ذلك يفسر بمحاولات نسج الذكور لعلاقات الانخراط في شبكات تنظيم عمليات "الحرقة"[٢].والتي من خلالها تتم عمليات التواصل، وتتوسع بين الأفراد المتاجرة بالبشر والمجموعات المتجانسة وغير المتجانسة.

٢. انتشار مظاهر التنمر والميز العنصري

تعتبر مظاهر انتشار الميز العنصري، من أهم ملامح الاعتداءات الصارخة على الحقوق الشخصية والإنسانية للبشرية. لأن المفهوم، يحمل في مقاصده، مصطلح "احتقار" من هم من جلدتنا، أين تؤكد عديد الدراسات الباحثة في مسألة العنصرية بأننا: نحن البشر" لا نحتقر أبدا الا ما يشبهنا أو من جنسنا، الجماد والنبات والحيوان هي كائنات توجد خارج امكانية العنصرية[٣] هذا بالإضافة الى ان مصطلح العنصرية في معناه السائد، هو ممارسة أو تقنين تمييز غير عادل تجاه كائن مختلف عنا"[٤] وبالاستناد الى نتائجه العدوانية، يعتبر التمييز العنصري مظهرا من المظاهر السلبية للهجرة غير النظامية ووجها مثيرا للقلق النفسي والاجتماعي الذي يعيشه المهاجر الافريقي الفاقد لهويته القانونية. وقد يخلق ذلك خطر التوتر وظهور صعوبات في المعاملات العلائقية البشرية، التي بإمكانها أن تهدد التعايش السلمي بين البشر، وتحد من مساحات العيش المشترك بين السكان المقيمين من ذوي البشرة البيضاء والمهاجرين من الأفارقة من ذوي البشرة السوداء والبنية الجسدية المتشابهة. وهو ما يبين للباحث بأن "العنصرية هي استعمال أداتي أو اجرائي لهويات الناس، ومعاملتها وكأنها عبء أخلاقي يمكن أو يحق لنا التخلص منه"[٥] وتتوج معاملاتها بالرفض وبالتالي يتحول "كل ما هو مرفوض الى حجر ثقيل على النفس[٦] كما أكد ذلك، الكاتب والفيلسوف، "فتحي المسكيني" في كتابه "الهجرة الى الانسانية". وهو ما شهده المجتمع التونسي خلال السنوات الأخيرة، على اثر الحركات الهجرية

[١]- أبو النور حمدي أبو النور حسن: يورجينهابرماس "الأخلاق والتواصل"، دار التنوير، بيروت، ٢٠٠٩، ص١٤٣.

[٢]- حرقة: هي كلمة شعبية معروفة لدى التونسيين ويقصد بها عملية اجتياز للحدود البحرية خلسة في اتجاه أوروبا عبر البحر.

[٣]- فتحي المسكيني، "الهجرة الى الانسانية"، منشورات ضفاف، الطبعة الأولى، لبنان، بيروت ٢٠١٦ ص٧٢

[٤]- سمير خليل وآخرون، التسامح بين الشرق والغرب، دراسات في التعايش والقبول بالآخر، ترجمة ابراهيم العريس، دار الساقي الطبعة الثانية بيروت، ٢٠١٦ ص ٧١

[٥]- فتحي المسكيني، "الهجرة الى الانسانية"، مرجع سابق، ص٧٢

[٦]- فتحي المسكيني، "الهجرة الى الانسانية"، مرجع سابق، ص ٣٣

المفاجئة، الكثيفة والمتواترة، والتي ترجمت آثارها السلبية على أرض الواقع بمختلف مظاهرها المرئية والمخفية منها.

جدول 3 : قياس نسب اجابات تعرض مهاجري أفارقه جنوب الصحراء الى التنمر والميز العنصري

	نعم	%	لا	%	المجموع
اناث	٢٣	%٧٦.٦٦	٧	%٢٣.٣٣	٣٠
ذكور	١٩	%٦٣.٣٣	١١	%٣٦.٦٦	٣٠

نتائج العمل الميداني

تثبت نتائج الدراسة الميدانية من خلال الأجوبة المتحصل عليها عن طريق استمارة الاستبيان الموجهة الى أفارقة جنوب الصحراء من المهاجرين غير النظاميين، أنه يوجد ميز عنصري تجاههم، حيث يجيب أغلب المستجوبين بأنهم يتعرضون الى الميز العنصري. وتتقارب نتائج الدراسة مع ما أكدته بعض الدراسات الباحثة في شؤون مهاجري أفارقة جنوب الصحراء غير النظاميين بتونس، والتي تؤكد وجود تمييز عنصري تجاههم. ففي دراسة ميدانية للمنتدى التونسي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية لسنة ٢٠١٩، يعرب ربع المشاركين في الاستبيان من الأفارقة غير النظاميين عن: شعورهم الدائم بالخطر وعدم الأمان في تونس، حيث يؤكد ٦١**%**منهم بأن التونسيين عنصريون[١] وصرح ٤١**%** منهم بأنهم واجهوا استقبالا سيئا من قبل المجتمع التونسي، وبأنهم يعيشون على هامشه[٢] كما أن ٥٧**%** من المهاجرين الغير نظاميين من الذين تمت مقابلتهم صرحوا، بأنهم لم يمنحوا الجنسية بسبب التمييز العنصري رغم أن لديهم أطفال قد ولدوا في تونس[٣] وهو ما أكدته الباحثة "فاتن مساكني" في دراستها: من دول افريقيا جنوب الصحراء الى تونس، دراسة كمية حول وضعية المهاجرين في تونس: الملامح العامة، المسارات والطموحات. كما تقاطعت مواقف الرفض وعدم المساعدة مع ما جاء في دراسة "قراءة نقدية للهجرة" من خلال اعادة التفكير في الهجرة كحركة انسانية بالمتوسط للباحث "سالفاتوربالياSalvatore Palidda والتي قال عنها بأنها تهدف الى عزل المهاجر عن البيئة الاجتماعية وحرمانه من التواصل ووضعه بشكل دائم على هامش المجتمع[٤]

[١]– فاتن مساكني: من دول افريقيا جنوب الصحراء الى تونس: دراسة كمية حول وضعية المهاجرين في تونس: الملامح العامة، المسارات والطموحات، ص٥٨

[٢]– فاتن مساكني، نفس المرجع، ص٥٧

[٣]– فاتن مساكني، نفس المرجع، ص١٨

[٤]– سالفاتوربالياSalvatore Palidda مقدمة، قراءة نقدية للهجرة: اعادة التفكير في الهجرة كحركة انسانية بالمتوسط، دار النشر، كارتالا Karthala;

httep://www.cairn.info/migration-critiques—9782811104054.htm2011

٣. انتشار ظاهرة العنف المادي والمعنوي

توصلت بعض الدراسات الميدانية الباحثة في شؤون المهاجرين غير النظاميين، الى وجود ظاهرة العنف بمختلف أشكاله، والتي تكون أسبابه عادة ردود أفعال، جراء الميز العنصري أو التنمر، حيث تؤكد دراسة "المساكني" الميدانية، بأنه أكثر من نصف من تمت مقابلتهم تعرضوا لهجمات عنصرية من السكان المحليين[١] نتيجة عدم القبول بهم، والنظرة الدونية والاستعلائية تجاههم، وهو دليل على رفض التعايش بسبب الانتماء أو اللون. علاوة على الوضعية غير القانونية للمهاجرين، وهو ما يؤكد "بأننا اضحينا اليوم مجتمعا عنصريا لا ترياق له[٢] هذا من جهة أولى، أما من الجهة المقابلة فان المهاجر غير النظامي يتميز أيضا، وفي كثير من الأحيان، بالنزعة الى استعمال العنف، والذي يعتبره شكلا من أشكال الدفاع عن النفس. ولعل ذلك يتجلى في ردود أفعاله وشعوره بالاختلاف عن الآخر المختلف عنه في شكله ولونه، مما يجعل العديد من الدارسين لظاهرة الميز العنصري يتوصلون الى أن السود مثلا "صاروا مفرطين في حساسيتهم ازاء كل ما لا ينتمي اليهم يقينا أن كلمة "زنجي" تحمل معنى شتائميا... لذلك لا يتعين استخدامها خلال التخاطب[٣] ولعل المقصد من هذا المعنى، هو تأكد ردود الأفعال العنيفة لمهاجري أفارقة جنوب الصحراء تجاه سكان البلد. وهو ما يجعلنا نعترف بان الاختلاف رسمه العقل البشري الباطني ويخلق عديد الاشكاليات منها "الاستبعاد" الذي يترجم من خلال مواقف وسلوكيات عنيفة وعدوانية، تعبر عن ضعف مستويات العيش المشترك. بالإضافة الى مسألة تأثير العوامل الخارجية كالضغوطات النفسية نتيجة الواقع الاجتماعي المعقد، المساهم في تغيير الملامح السلوكية والأخلاقية للذات البشرية ودفعها الى تغيير مواقفها تجاه تقبل الآخر المختلف.

جدول 4 : قياس نسب العنف المصرح بها من خلال الاجابات

	نعم تعرضت أو شاهدت عنفا			
	جسدي	لفظي	نفسي	**%**
اناث	٢	٢	١٧	**%٣٥**
ذكور	١٣	١٢	١٤	**%٦٥**
المجموع	١٥	١٤	٣١	**%١٠٠**
٦٠				

نتائج العمل الميداني

تشير القراءة الاحصائية التحليلية للنتائج الميدانية الى، وجود ظاهرة العنف الجسدي والمعنوي المتبادل بين المواطنين المستقرين وأفارقه جنوب الصحراء من المهاجرين غير النظاميين، نتيجة

[١]– فاتن مساكني، مرجع سابق، ص٥٩

[٢]– ألفريد آيير، التسامح بين الشرق والغرب، دراسات في التعايش والقبول بالآخر، مرجع سابق، ص ١١٨

[٣]– ألفريد آيير، التسامح بين الشرق والغرب، دراسات في التعايش والقبول بالآخر، مرجع سابق، ص ١١٩

مظاهر التنمر والميز العنصري. وتشمل الأرقام جنسي الاناث والذكور بقيمة متفاوتة، حيث تترجم النسب المئوية المتحصل عليها، ارتفاع حصيلة المصرحين بحدوث عنف ضدهم أو مشاهدتهم لعنف مسلط على آخرين منهم. وتصل النسبة الى حوالي ٦٥**%** وهو ما يعبر عن منسوب عال لظاهرة العنف، خاصة منه العنف النفسي، الذي تصل نسبته الى ٥٢**%**أين يصرح المستجوبين من المهاجرين بتعرضهم للعنف من طرف السكان الأصليين، ويعود ذلك الى تعرضهم للتنمر بسبب شكلهم أو لونهم. ومقارنة بتراجع عدد النساء المعنفات تفسر النسبة المرتفعة للمعنفين من الرجال منهم (٦٥%)بكثرة معاملاتهم وانخراطهم في تنظيم صفقات عمليات "الحرقة"[١] في شبكات تهجير سرية، واتصالهم بعصابات الاتجار بالبشر. حيث يوجد العنف بمختلف أشكاله الجسدية والمعنوية، خاصة منه النفسي وهو ما ينتج الخوف والقلق وعدم الاستقرار وانتفاء الشعور بالأمان من جراء حدوث الجرائم والاعتداءات... وكذلك حوادث السرقة التي تخلف حوادث عنف، مثل الاعتداءات على الأملاك الخاصة والعامة والحاق الأضرار بها كالحرق و التهشيم...

وتعبر مظاهر العنف كذلك عن صعوبات الاندماج الاجتماعي للمهاجرين غير النظاميين، ومصاعب العيش المشترك الذي تنجر عنه في كثير من الأحيان حصول عنف مادي متبادل بين السكان والوافدين. وتترجم الأرقام المتحصل عليها والمظاهر الموجودة على أرض الواقع، حدة تداعيات الهجرة غير النظامية على الاستقرار الاجتماعي.

وتعبر الصدامات مع الأمنيين، على أن العنف منتشر ويمارسه الأفراد والمؤسسات على حد السواء. وهو ما يؤكد الطبيعة التي يغلب عليها العنف، فضلا عن صعوبة ضمان المهاجرين لحقوقهم الأساسية عند التشكي[٢] وهو ما اكدته الدراسة الميدانية للباحثة "فاتن المساكني" والتي تقول فيها أن النتائج أثبتت تقدم حوالي ١٠**%**من ضحايا العنف بشكاوي ولم يحظوا بأي اجابة أو متابعة[٣] وقد يعبر ذلك على، ارتفاع منسوب الاحتقان الاجتماعي وردود الأفعال الغاضبة من طرف السكان الأصليين تجاه المهاجرين، والمطالبة بترحيلهم. وهو ما يسبب انتشار ظاهرة التصادمات العرضية كالتدافع اليومي أو تبادل العنف اللفظي أو المادي، نتيجة أحداث، تكون عادة في الفضاءات العامة، كالمقاهي أو في نقاط التجمعات العشوائية. وقد أكد المنتدى التونسي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية لسنة ٢٠١٩، بأنه تجدر الاشارة الى أن ٩٢.٨**%**من

[١]- "الحرقة" هي تسمية تطلق على عملية الهجرة غير النظامية والسرية التي يقوم بها "الحراقة" (الأشخاص الذين يجتازون البحر خلسة) عن طريق البحر، مستعملين الزوارق ومراكب الصيد في اتجاه السواحل الايطالية.

[٢]- فاتن مساكني، مرجع سابق، ص٦٠

[٣]- فاتن مساكني، مرجعسابق ، ص٦١

الذين تم التحاور معهم، صرحوا بأن الاعتداءات وقعت في الأماكن العامة[١] بما فيها من ساحات وحدائق عمومية أو في انهج الشوارع المنزوية قليلة الحركة أو الشوارع والأحياء الشعبية ذات المستويات المعيشية المتواضعة، والتي يتوزع فيها المهاجرين غير نظاميين بصفة كبيرة، وكل المناطق تقريبا المحيطة بمدينة صفاقس. وهو ما يبين انتشارا واسعا وكبيرا لأفارقه جنوب الصحراء من المهاجرين غير النظاميين بمختلف جنسياتهم.

٤. انتشار مظاهر الفقر والتسول

بازدياد عدد الوافدين، كشفت الدراسة الميدانية، ملاحظة ارتفاع مظاهر الفقر والتشرد والمعاناة الجسدية والنفسية للمهاجرين غير النظاميين. وقد تجلى ذلك في انتشارهم واقامتهم بشوارع المدينة وساحاتها العامة. في ظروف صعبة وغير لائقة وسط القمامة والفضلات البشرية، في وضع بيئي وصحي خطير. كما بينت الملاحظة بروز ظاهرة التسول لدى المهاجرين غير النظاميين، والتي تكاد تكون منتشرة في كل الطرقات الرئيسية للمدينة وفي الأماكن العامة مثل، محطات النقل العمومي ومفترق الطرقات.

شملت ظاهرة التسول جنسي الذكور والاناث، خاصة منهم النساء الحوامل أو المرافقات لأبنائهن من الأطفال والرضع. وهي ظاهرة اجتماعية منتشرة ومتنامية أصبحت تطفو على السطح الاجتماعي، كما أنها تبدو مشابهة لظاهرة التسول المتواجدة منذ سنوات في صفوف السكان الأصليين المتسولين والمصاحبين لأطفالهم الرضع. زد على ذلك ظاهرة البطالة، ورفض تشغيل المهاجرين غير النظاميين من قبل المشغلين، ويكون ذلك بقرارات شخصية، بسبب الخوف من العقوبات الأمنية والمجتمعية، أو الخوف الذاتي. والمتمثل في توخي الحذر منهم وتوقع حدوث جرائم "كالقتل" أو "السرقة". وهو ما يجبر المواطنينعلى عدم منح الثقة في المهاجرين.وهو ما يزيد من تكثر مظاهر فقرهم وتشردهم بسبب البطالة وعدم توفر الامكانيات المادية.

المظاهر والتداعيات النفسية للهجرة غير النظامية على المهاجرين

١. الصعوبات والتحديات النفسية

ان من بين الصعوبات النفسية التي يعانيها المهاجر هو، الشعور بالاغتراب النفسي بسبب عدم الانتماء. بالإضافة الى مشاعر الإحباط والقلق والتوتر والكبت والاضطرابات النفسية والجسدية. أيضا الشعور بالخوف من المصير المجهول وانشغال التفكير بالهروب الى بيئات أخرى مجهولة، للتخلص من الوضع المعاش. حيث يبحث المهاجر دوما عن أماكن آمنة ومريحة، فيحاول نسج علاقات جديدة بهدف ايصاله الى بر الأمان. ومن بين هذه العلاقات، الدخول في ابرام صفقات تهجير سرية، تصله بشبكات وعصابات الاتجار بالبشر المتكونة من

[١]– فاتن مساكني، مرجع سابق، ص٦١

عديد العناصر المتشابهة والمتنافرة ذات المصلحة المادية الواحدة، وهو ما يجعله عرضة للاستغلال والمخاطر و حتى الى الموت.

وتبين الدراسة الميدانية لتقصي أوضاع المهاجرين غير النظاميين بمدينة صفاقس، أهمية ما يعيشه المهاجر من تحديات يومية نفسية وعاطفية، نتيجة الانفصال عن موطنه وكل ما يربطه بجذوره العائلية والانتمائية وطقوسه وعاداته وتقاليده، حيث يكون البعد عن أصله وأقاربه واصدقائه ومجتمعه وأماكن ذكرياته، نقطة تحول مؤثرة في مشاعره وأحاسيسه. وهو ما يخلق لديه صراع نفسي داخلي نتيجة المشاعر السلبية التي يعانيها، مع الشعور بالاستياء والخوف من الآخر الذي يعتبره، هو الآخر غريبا عنه. وقد يولد ذلك، الشعور بالاغتراب النفسي والاجتماعي، والاحساس بعدم الانتماء الفكري والروحي. وهو ما يجعل المهاجر يعيش صعوبات التأقلم مع بيئة جديدة وغريبة عنه، مما يجعله يتردد ويخشى الاقتراب من الآخر الذي يتوقع أنه يرفضه للونه أو لوضعه أو لطريقة تواجده الغير شرعية.

كما تبين القطيعة النفسية التي يعيشها المهاجر، عدم رغبته في التواصل، وهو ما يؤدي الى خلق قطيعة اجتماعية تتجلى مظاهرها على أرض الواقع وتتمظهر في عديد الأحداث والأفعال والسلوكيات مثل: الانزواء أو اختيار المخالطة الجزئية لمجموعة الانتماء من المهاجرين الحاملين لنفس المعاناة. هذا بالإضافة الى السلوكيات المحفوفة بالمخاطر على الذوات وعلى المجتمع، كسرعة ردود الأفعال العشوائية وغير المسؤولة والعنيفة، بسبب التعرض الى مثيرات التنمر أو الاستفزاز أو الاستغلال أو مشاعر النقمة، نتيجة الاحباط النفسي الذي يعيشه المهاجر بسبب وضعه الاجتماعي السيء.

كما أن الشعور بالغبن والحرمان من الحق في العيش اليسير ومشاعر مخلفات التمييز السلبي، يمكن أن يخلق الشعور بالضغينة والكره تجاه الآخر، سواء كان الآخر سلطة أو شعبا. وهو ما أكدته عديد الدراسات النفسية والفلسفية، في وصفها لمخلفات المعاناة الذاتية للأفراد، بأنه حين يتعود شخص أو شعب على استقاء ذاته أو شعوره بذاته أو مصادر ذاته العميقة من حزمة ثقيلة من الآلام الأساسية التي لا يمكن ردها الى أي نوع من السعادة، يبدأ كره خاص واستثنائي في التشكل وتأخذ ثقافة الكراهية في الانتشار كأفق فضيع من الحزن الهووي[١] وهو ما جعل مهاجري أفارقة جنوب الصحراء غير النظاميين خلال سنتي ٢٠٢٣ و ٢٠٢٤ وعلى اثر احداث العنف والمطاردات الأمنية لهم، يطالبون بحقهم الكوني في العيش سويا. مع مطالبتهم للسلطة

[١]– فتحي المسكيني، "الهجرة الى الانسانية"، مرجع سابق، ص ٣٥

التونسية بتوفير الظروف المناسبة للإقامة والتمتع بالحقوق في العيش المشترك أو التسريح غير المشروط لتحقيق هدف العبور الى الضفة الأوروبية بسلام.

٢. ظاهرة الاشاعة ومشاعر الرفض والاستبعاد

تعتبر ظاهرة الاشاعة، من أهم الوسائل المؤدية الى الفتنة والوقيعة بين الناس[١] كما أن نشرها يعتبر سلاح خطير يفتك بالأمة ويفرق أهلها ويسيء ظن بعضهم ببعض[٢] وقد انتشرت وتوزعت في المجتمع التونسي، خاصة مع تزامن أحداث العنف وتكاثرها في السنوات القريبة الماضية بمدينة صفاقس، وفي فترات متقاربة. حيث يعبر الأفراد في أقوالهم عن مستويات خوفهم من حصول جرائم واعتداءات كالسرقة أو العنف، وهو ما يحد من التعايش السلمي المختلط بين عناصر المجتمع. ويجعل أفراده ينتهجون سلوك الاستبعاد والرفض.

ولعل ذلك يخلق نوع من سهولة تصديق الاشاعات المقترنة بحصول أحداث فعلية، حتى وان لم تكن منسوبة الى المهاجرين غير النظاميين، وهو ما أكدته عديد الدراسات حول تحليلها للوقع النفسي الذي تخلفه الإشاعة، نظرا لكونها تعتبر أحد أفتك الحروب النفسية[٣]ويعرفها البعض كذلك بكونها تعوق عملية فهم المجتمعات لطبيعة الظروف التي تمر بها وتجعلها عاجزة عن استيعاب الضرورات التاريخية التي تؤثر على اتجاه حركتها ونموها على أرض الواقع[٤]وهي تساعد على تغذية وارتفاع منسوب الجريمة والفوضى، وبالأخص في المجتمعات ذات الأرضية الخصبة للمنزلقات الاجتماعية الخطيرة. والتي تشهد تراكمات للظواهر السلبية وهشاشة اجتماعية وأمنية، تتزامن مع انتشار ظاهرة الهجرة غير النظامية وما ينجر عنها من مظاهر سلبية واشكاليات اجتماعية.

وقدذلك يساهم في مزيد أخذ الحيطة والحذر من المهاجر، المختلف والغريب تواجده، ويعتبر ذلك شكلا من أشكال "كراهية" الآخر، وهو ما تثبته بعض الدراسات العلمية في تحليلها لنتائج الاشاعة بأنه "قد يكون الدافع والمحرك لنشرها وترويجها بين الناس انما هو الكراهية من المشاع عنه [٥]

[١]– صفاء عباس عبد العزيز ابراهيم الاشاعة وأثرها على الفرد والمجتمع، كلية الاعلام بجامعة السودان المفتوحة، الخرطوم. مجلة البحث العلمي في الآداب، العدد ٢٠ سنة ٢٠١٩ ص٢.

[٢]– صفاء عباس عبد العزيز ابراهيم الاشاعة وأثرها على الفرد والمجتمع، مرجع سابق، ص٢

[٣]– صفاء عباس عبد العزيز ابراهيم الاشاعة وأثرها على الفرد والمجتمع، مرجع سابق، ص٥

[٤]– صفاء عباس عبد العزيز ابراهيم، الاشاعة وأثرها على الفرد والمجتمع، مرجع سابق، ص٢١

[٥]– صفاء عباس عبد العزيز ابراهيم، الاشاعة وأثرها على الفرد والمجتمع، مرجع سابق، ص٩

وهوما يشهده المجتمع التونسي، في ظل مزيد توافد المهاجرين غير النظاميين وفي ظل عدم توفر قاعدة بيانات لتقييم هذه الظاهرة[١] بالإضافة الى ذلك فان صعوبة وضبابية معرفة المعلومات الدقيقة حول تواجد المهاجرين بالبلاد التونسية ومزيد توافدهم عمق أزمة تعايشهم ، خاصة أمام افتقار السلط التونسية للحلول الجذرية، تزامنا مع الظروف الصعبة التي تمر بها البلاد. حيث تبين وأن عدم استقرار الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية بعد الثورة هو ما جعل مسألة الهجرة في آخر قائمة أولويات الدولة[٢]

المظاهر والتداعيات الاقتصادية للهجرة غير النظامية :

١. وضعية تشغيلية هشة واستغلال اقتصادي :

عادة ما تكون الوضعية الاقتصادية والتشغيلية هشة للمهاجرين غير النظاميين نظرا لعديد العوامل، أهمها غياب الهوية القانونية والشرعية، وهو ما يجعلهم عرضة للتهميش والاستغلال الاقتصادي والحرمان من الحقوق المهنية التي يتمتع بها أهل البلد. حيث كان السؤال المطروح حول الوضعية التشغيلية للمهاجر في ماضيه وحاضره.

جدول 5 : الوضعية التشغيلية لمهاجري أفارقة جنوب الصحراء غير النظاميين

	العدد الجملي للمستجوبين	الشغل الحالي أو السابق في تونس	
		عمل شاق	عمل غير شاق
رجال	٣٠	٤٤	٠
نساء	٣٠	١٤	٢
جملة	٦٠	٥٨	٢
		% ٩٦.٦٦	**% ٣.٣٣**

المصدر: نتائج الاستبيان

وفي قراءة احصائية تحليلية لمعطيات الجدول الذي يثبت تفاوت أرقام ونسب الوضعيات التشغيلية والاقتصادية، تبين وأن نسبة المشتغلين بالأنشطة الشاقة مرتفعة، بصفة ملحوظة، اذ تصل الى ٩٦.٦ **%** وهو دليل على الاستغلال الاقتصادي الذي يعاني منه المهاجرين غير النظاميين. والذي أفرز مظاهر الفقر والتسول، خاصة عند الأسر الحاضنة لأطفال. ويظهر الاستغلال الاقتصادي من خلال تكثيف ساعات العمل والاشتغال بالأعمال الثقيلة والملوثة والشاقة، مثل: تشغيلهم بمقاطع الرخام والحجارة أو مستودعات مواد البناء والحديد أو الأنشطة الفلاحية، كجني الزيتون ورفعه ونقله الى المعاصر، أو الاشتغال في التنظيف العسير بمداخيل

[١]– رومن وباستور، Pastore ; Roman: تحليل أطر سياسات الهجرة من طرف منظمات المجتمع المدني التونسية: كيف يقيمون سياسات الاتحاد الأوروبي للهجرة؟

[٢]– رومن وباستور Pastore ; Romanنفس المرجع السابق.

زهيدة يتم فيها استغلال اليد العاملة الهشة. كما ان هشاشة الوضع القانوني للمهاجر الغير نظامي يزيد في فرص استغلاله من طرف مشغليه، اذ يتراوح الدخل اليومي للعامل بين دينارين وعشرة دنانير، وفي أقصاه يصل الى خمسة عشر دينارا تونسيا، وذلك مقابل نشاطه بالعمل على امتداد اليوم، دون تمتع بوقت للراحة. ويعتبر ذلك دافعا من دوافع أرباب العمل،لتشغيل أفارقة جنوب الصحراء بدلا من التونسيين، باعتبارهم يتميزون بالاجتهاد، كما أنهم يمثلون قوة عاملة غير مكلفة لا تطالب بحقوقها وتمتاز بالوفرة والمردودية.[١]

وقد أثبتت عديد الدراسات المسحية والعلمية، مسألة أقدمية الاستغلال الاقتصادي لذوي البشرة السوداء في تونس. حيث يكلف السود بالأعمال المنزلية والزراعية والمهام الشاقة، مثل حفر قنوات الري التي كانت تسند حصريا للعبيد السود. وقد استمرت العقلية العنصرية الاستغلالية الى حد اليوم، وهو ما تدل عليه شهادات المهاجرين غير النظاميين من جنوب الصحراء الذين يعملون بالقطاع غير المنظم في تونس[٢]كما يمكن للمهاجر أن يحصل على شغل مقابل الاقامة والحراسة أو الأكل دون الحصول على المال، وهو شكل آخر من أشكال "الاستعباد" يبين مدى تدني الوضع الاقتصادي والاجتماعي للمهاجر غير النظامي.

بطالة المهاجرين وعزوف المؤجرين على تشغيلهم

تثبت نتائج البحث عزوف المؤجرين على تشغيل المهاجرين غير النظاميين، بسبب الخوف من السلط الأمنية، حيث يتم تجريم المساعدة حتى وان كانت انسانية طوعية، والهدف من ذلك هو تهميش المهاجر والحد من سبل تواصله. وهو ما أثبتته بعض الدراسات العلمية، اذ يرى "سالفاتور باليد"SelvatorePalidda " أن تجريم مساعدة المهاجرين غير النظاميين، حتى الانسانية منها، يهدف الى عزل المهاجر عن البيئة الاجتماعية وحرمانه من أي تواصل انساني بشري، وبالتالي وضعه بشكل دائم على هامش المجتمع[٣]كما يدين القانون، من يقوم بمساعدة المهاجرين غير النظاميين، وهو نفسه القانون الذي يسحب على المهربين وشبكات التشغيل غير النظامية[٤] على ذلك كانت نسب البطالة مرتفعة وتكاد تكون كلية، خاصة في فترات ذروة

[١]- الأسعد العبيدي، لطفي بنور وعلي الجعايدي، العمالة النظامية وغير النظامية للعمال المهاجرين في تونس: خارطة العمال المهاجرين في تونس ووضعهم الاقتصادي والاجتماعي" منظمة العمل الدولية،٢٠١٧
https://www.ilo.org/wcmp5/groups/public/-documents /ed_protect/-protrav/-migrant

[٢]- سامي غربال، العنصرية في المغرب الكبير، مجلة Jeune Afrique ٢٣ أوت ٢٠٠٤
https://www.jeuneafrique.com/99821/archives-thematique/ le -racisme - au magreb/

[٣]- سالفاتورباليداsalvatorebalida مرجع سابق.

[٤]- منية بن جميع: قمع الهجرة غير النظامية في تونس، المغرب الكبير في مواجهة الهجرة من افريقيا جنوب الصحراء- الهجرة الخارجية مع الهجرة الداخلية ص ٧٨ - ٢٦٧ (Kartala Editions 2009)

التصعيد الاجتماعي والأمني للبلاد، أين تكون الحملات الأمنية المشددة على المشتغلين والمشغلين في نفس الوقت. وتؤكد نتائج البحث الميداني، ارتفاع نسبة بطالة المهاجرين وعزوف المؤجرين على تشغيلهم.

جدول 6 : نسب بطالة مهاجري أفارقة جنوب الصحراء وعزوف المؤجرين على تشغيلهم

	العدد الجملي للمستجوبين من المهاجرين	المعطلين عن العمل	اسباب العزوف	
			هل العزوف لأسباب ذاتية (الخوف منهم)	هل العزوف لأسباب قانونية (الخوف من السلطة)
رجال	٣٠	٢٤	١٩	١١
نساء	٣٠	٢٨	٣٠	٠
جملة	٦٠	٥٢	٥١	١١
		% ٨٦.٦٦	%٨١.٦٦	%١٨.٣٣

المصدر: نتائج الاستبيان

تعبر نسب ارتفاع البطالة، عن ارتفاع منسوب الخوف لدىالمشغلين وتجنب التعامل مع المهاجرين غير النظاميين خاصة مع تزايد توافدهم، وكثرة أحداث العنف وانتشار الاشاعات حول الجرائم والاعتداءات الخطيرة، وهو ما جعل المواطن التونسي يتوخى الحذر ويتوقى باعتماد سلوك التجنب جراء الشعور بالخطر، وقد كانت نتائج أغلب الاجابات تصب في منحى رفض تشغيلهم حيث تصل نسبة البطالة الى حوالي ٨٧**%**وهو ما يعبر عن تأثير مواقف العزوف على ارتفاع عطالتهم وهي مواقف تحد من حظوظهم في تيسير العيش المشترك بينهم وبين التونسيين. وبالتالي تقلص نسب قبولهم داخل الوسط المهني. مما يجعل وضعهم المادي متدهورا وينعكس ذلك سلبا على حياتهموعلى المحيط الاجتماعي والأمني للبلاد أينتكون التداعيات خطيرة على مستويات عدة.

المظاهر والتداعيات الديمغرافية والبيئيةوالصحيةللهجرة غير النظامية :

١. ظاهرة الانفجار الديمغرافي

ساهمت ظاهرة هجرة أفارقة جنوب الصحراء غير النظامية، في طرح عديد المشاكل السكانية منها: ظاهرة الانفجار الديمغرافي والتزايد المفاجئ والنمو السريع لعدد الوافدين من المهاجرين. في غياب الاحصائيات الرسمية عنهم، وفي ظل ضعف الامكانيات الاجتماعية وتراجع التوازنات الاقتصادية والمعيشية التي كانت لها مخلفات سلبية. مما ساهم في تعميق الأزمة الاجتماعية والاقتصادية المعيشية. وقد أكدت النظرية "المالتوسية" في طرحها لسلبيات الانفجار الديمغرافي على المجتمعات وما يمثله من إعاقة للتنمية الشاملة والمحلية، لذلك كانت النظرية داعمة للتقليص من عدد البشر، وهو ما جاءت به نظرية "مالتوس" الجديدة أيضا، والتي تؤكد على النتائج والتوقعات السلبية لظاهرة الزيادة السكانية، مثل انتشار المجاعات في العالم

بسبب عدم توازن أعداد الناس مع الموارد المتاحة في مجتمع ما[1] وقد يتناسب الطرح "المالتوسي" مع ما تشهده اليوم البلاد التونسية من انعكاسات ومظاهر سلبية لظاهرة الهجرة غير النظامية وتوافد الأعداد اللامتناهية لمهاجري أفارقة جنوب الصحراء، في ظل غياب التوازنات الاقتصادية والاجتماعية، التي ترمي بضلالها على تعقد الحياة الاجتماعية، وهو مايجعل العديد يطالب بالترحيل الذي يرفضه المهاجرين.

جدول 7 : موقف المهاجرين غير النظاميين منالترحيلالقانوني

	العدد الجملي للمستجوبين	الترحيل القانوني الى البلد الأصل		فتح الحدود البحرية للعبور الى أوروبا	
		نعم	لا	نعم	لا
رجال	٣٠	٠	٣٠	٣٠	٠
نساء	٣٠	٠	٣٠	٣٠	٠
جملة	٦٠	٠	٦٠	٦٠	٠

نتائج الاستبيان

تبين نتائج الجدول التالي، وبالاعتماد على الأرقام المتحصل عليها من حصيلة الأسئلة الموجهة لعينة البحث من المهاجرين الأفارقة، أن نسبة الرافضين للترحيل تصل الى ١٠٠**%**وهي نسبة تتوافق تماما مع نسبة المطالبين بالعبور الى أوروبا عبر فتح الحدود البحرية لهم والتي تبلغ ١٠٠**%**وتعبر النتائج عن أهمية المواقف ودرجة تشبث المهاجر بحلمه "المنشود" الذي يعتبره الملاذ الوحيد لتغيير حياته الى الأفضل. لكن بقاءه في حالة صراع،وأمام السياسات المتشددة لمواجهة عمليات الهجرة الى البلدان الأوروبية، تجعل تونس محضنة لمهاجري أفارقة جنوب الصحراء، يتوالدون ويتزايدون باستمرار في أعداد لامتناهية دون القدرة على حصر أعدادهم. وهو ما ينبأ بمدى خطورة تداعيات النمو الديمغرافي السريع والمفاجئ والذي حذر منه عديد المفكرين والباحثين في السياسات السكانية والنظريات الديمغرافية.يقول "فرانك نوتسين" في نظريته حول التحول الجغرافي "DémographiqueTransition" ان التنمية التجارية والصناعية تؤديان الى تخفيض معدلات الوفاة، وتشجعان على تأسيس عائلات صغيرة الحجم، بالاعتماد على تقليل معدلات الولادات[2] والمقصود من ذلك هو الضغط على العدد البشري والتقليص من كثافة السكان لتحقيق الرفاه الاقتصادي وتسهيل عمليات العيش سويا.

وتتمظهر تداعيات الانفجار الديمغرافي مثلا في، نقص المواد الاستهلاكية والغذائية وشحها، بسبب تزايد الطلب. مما أثر على الواقع المعيشي اليومي وشكل صعوبات على المستويات المعيشية للمواطن التونسي، الذي أصبح يرفض التعايش ويقر بعدم تأقلمه مع

[1]– Théories Of Démographie, sociologie Guide, Retrived, 5-2-2017. Edited.

[2]– نفس المرجع السابق

الظواهر الجديدة المستحدثة. وهو موقف يصب في نفس الاتجاه، وأهمها: الانفجار الهائل للسكان والتضخم في عدد البشر[١]

٢. ظاهرة المواليد الجديدة

كما أصبحت تطفو على السطح الاجتماعي، ظاهرة المواليد الجديدة من الأفارقة المهاجرين غير النظاميين. حيث أصبحنا نشاهد عمليات نشوء وحدات سلالية صغيرة منعزلة، مما يهدد بخلق التفرقة والفردانية... وهو ما يعزز كذلك انتشار المنظومة الانقسامية[٢] حيث تتشكل ملامح جديدة، مركبة وغير متجانسة في المجتمع التونسي.

هذا بالإضافة الى انتشار مظاهر التسول، والتنقل بمعية أطفال صغار ورضع في وضع مناف لحقوق الطفل ومصلحته الفضلى، التي نصت عليها جميع القوانين الحامية لحقوق الطفولة. مع ضبابية الرؤية في تحديد مصير هؤلاء الأطفال القصر، من حيث معاشهم والتحاقهم بالكتاتيب والروضات والمدارس. حيث تثبت الدراسة الميدانية، أن هؤلاء الأطفال المتسولون بمعية أوليائهم هم في عمر الدراسة أو في عمر السنوات التحضيرية والتمهيدية للتعليم، لكنهم غير ملحقون بالمؤسسات ولا يتمتعون بالخدمات التعليمية والتربوية. وهو ما يطرح قضية مصير وآفاق الجيل الجديد الناشئ من المهاجرين غير النظاميين، المقيمين في وضعيات غير قانونية وفي ظروف غير ملائمة. كما أنهم يتنقلون بين المدن، وفي أغلب الأحيان تكون تنقلاتهم لمسافات طويلة بصفة فردية أو جماعية وبرفقة أطفالهم القصر وهو ما يعمق أزمتهم، ويخلق عدم الاستقرار والمصير المجهول للأطفال "المرفوضين" من المجتمع.

جدول 8 : موقف المهاجرين من مسألة الولادات والمؤسسات الدامجة

	العدد الجملي للمستجوبين	الموقف من ظاهرة الانجاب		الموقف من عدم الادماج بمؤسسات المجتمع	
		راض	غير راض	راض	غير راض
رجال	٣٠	٢٧	٣	٠	٣٠
نساء	٣٠	٢٨	٢	٠	٣٠
جملة	٦٠	٥٥	٥	٠	٦٠

نتائج الاستبيان

تبين النتائج موقف المهاجرين المشجع على الإنجاب وهو ما يطرح مسألة قضية المؤسسات الحاضنة للأطفال: كدور الحضانة والروضات والمدارس والمحاضن المدرسية، المؤسسات التي لم تكن مستعدة لاحتضان هؤلاء الصغار. بالإضافة الى الضبابية وعدم الرؤية الواضحة في

[١]– د. علي زيعور، الدراسات النفسية الاجتماعية بالعينة للذات العربية، من مونوغرافيا قرية الى التنمية الوطنية، طبعة دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط ٢ يناير ١٩٨٤، ص ٥٩.

[٢]– ليليا بن سالم، التحليل الانقسامي لمجتمعات المغرب الكبير، ترجمة عبد الأحد السبتي وعبد اللطيف الفلق، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب ١٩٨٨، ص ١١

اشتغال الدولة التونسية حول، المسألة المرتبطة بحق التعليم والاندماج التربوي والمدرسي للطفل الافريقي المهاجر بطرق غير قانونية، أو المولود في تونس من أب وأم مهاجرين لا نظاميين. وتحد هذه المسألة، من آفاق العيش المشترك في مستويات الاختلاط التربوي والثقافي، وهو ما يعمق أزمة التعايش في صفوف الناشئة. و يضفي أيضا، ضبابية على مستقبلها ويطرح مزيد الصعوبات المؤثرة سلبا وبصفة مباشرة على المهاجرين غير النظاميين، في علاقتهم بالسكان الأصليين.

٣. التداعيات البيئية والصحية للهجرة :

أفرزت النتائج الميدانية للدراسة، أن للهجرة غير النظامية مظاهر وتداعيات صحية وبيئية على المهاجرين وعلى المواطنين في نفس الوقت. وهو ما يعكس نتائج خطيرة تتمثل في انتشار الأمراض، خاصة منها الجلدية "كالجرب" بسبب نقص أو انعدام النظافة، وكذلك الأمراض المعدية كالسل والكوليرا والايدز... وسوء التغذية بسبب التشرد ونقص توفر الامكانيات أوعدمها... بالإضافة الى مخاطر تأثيراتها على الصحة النفسية للمهاجرين.

جدول 9 : نسبة الاجابات حول مدى توفر النظافة والاصابات بالأمراض المعدية

	العدد الجملي للمستجوبين	انعدام النظافة		الاصابة بأمراض معدية	
		نعم	لا	نعم	لا
رجال	٣٠	٢٧	٣	١٣	١٧
نساء	٣٠	٢٦	٤	١٥	١٥
جملة	٦٠	٥٣	٧	٢٨	٣٢
		%٨٨.٣٣	**%١١.٦٦**	**%٤٦.٦٦**	**%٥٣.٣٣**

نتائج الاستبيان

تبين نتائج البحث عدم توفر وسائل النظافة لدى المهاجرين غير النظاميين، بسبب الوضع الاجتماعي الصعب وظروفهم السكنية خارج المنازل، والتي عادة ما تكون في الشوارع وفي الساحات العامة أو في الأماكن النائية والخالية من المرافق الأساسية. ونقص الماء لديهم يجعلهم غير قادرين على النظافة لمدة أشهر طويلة، مما يجعلهم معرضون للأمراض المعدية والمنقولة، مثل الأمراض الجلدية...كما تثبت نتائج البحث تأثيرات ظاهرة الهجرة غير النظامية على البيئة، مثل كثرة الجثث والقوارب المتهالكة في عرض البحر وعلى السواحل، أو في الصحراء التونسية المشتركة بين تونس ودول الجوار ليبيا والجزائر وموت الكثير منهم جراء قسوة المناخ... وكذلك التلوث البيئي، بسبب تراكم الفضلات وملوثات البيئة من المواد البلاستيكية والمواد الخطرة والقمامة التي يخلفها المهاجرين المطاردون، والذين يعيشون خارج المساكن.

خاتمة

ان ما تخلفه الأزمات التي تعيشها الشعوب اليوم من مظاهر سلبية تغزو الواقع المعاش، تنبؤ بتوقعات مخيفة حول حصول جرائم ضد الانسانية خاصة في عمليات الهجرة العشوائية. حيث توصلت نتائج البحث الميداني في هذه الدراسة الى أن ظاهرة الهجرة غير النظامية، خلفت، مظاهر وتداعيات خطيرة على العناصر المهاجرة من أفارقة جنوب الصحراء وعلى المواطنين التونسيين أيضا. حيث تمثلت تداعياتها في بروز عديد المظاهر السلبية، كالفقر والتسول والميز العنصري والعنف بمختلف أشكاله. حيث أثرت الظاهرة على الحياة الاجتماعية للمهاجرين ولسكان البلد، وكانت مخلفاتها اجتماعية ونفسية واقتصادية وديمغرافية وصحية وبيئية وأمنية.

كما بينت الدراسة، أن تأقلم السكان يكون مرتبطا بثقافاتهم الاجتماعية وبعاداتهم وتقاليدهم في إدارة مشاغلهم اليومية، وكل العناصر الدخيلة على حركتهم المعتادة سوف تشكل خطرا في نظرهم وتهديدا لأمنهم السكاني. كما أن اصطدام المهاجرين الوافدين بواقع مختلف عنهم، شكل قلقا وصعوبات تتعارض وسلوكياتهم ومعاملاتهم وثقافاتهم التي يحملونها، وهو ما يتعارض مع البيئات الجغرافية والديمغرافية الجديدة والمغايرة لبيئاتهم الأصلية. وقد خلق ذلك مشاكل وصعوبة اندماج المهاجر في المجتمع، مما أدى الى صعوبات الشراكة في العيش على الرقعة الجغرافية الواحدة.

لذلك تبقى قضية الهجرة غير النظامية لأفارقة جنوب الصحراء بتونس، موضوع جدل المحللين والنقاد، مما يتطلب دراسات علمية عميقة، متعددة المجالات: منها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والديمغرافية والقانونية والأمنية... المرتبطة بوضع السياسات الداخلية والخارجية للدول. فالهجرة العشوائية هي هجرة غير قابلة للحل كما انها ظاهرة معقدة، و قضية كونية تمس كافة شعوب العالم، لذلك فان التعامل معها يجب أن يكون في اطار الشراكة العالمية لجميع الدول الطاردة للمهاجرين والأخرى المستقطبة لهم، بوضع الحلول الملائمة والدافعة الى تحقيق التنمية الشاملة، عوض سياسات الاستبعاد والاقصاء. وهو ما يطرح السؤال، حول الآفاق المرتقبة لإيجاد حلول جذرية منفتحة في شأنها، تعتمد على مبادئ العدل والمساواة في الحقوق الكونية للإنسان وتؤمن بفكرة الأرض والتنمية للجميع.

المراجع

- عبد الفتاح الزين، السوسيولوجيا في المغرب من اعلان الحماية الفرنسية الى المرحلة الراهنة، المستقبل العربي، عدد ١٤٦، لبنان،١٩٩١

٢٠١٦- رسم ملامح المهاجرين: مكونات المشهد الهجري في Tunisie Terre d'Asile تونس

https ;//www.france – terre – asile – Org/ images / stories / news letters / portraits% ٢٠de%٢٠ migrants.pdf

– المنتدى التونسي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية، ٢٠١٩µ

– أبو النور حمدي أبو النور حسن: يورجينهابرماس "الأخلاق والتواصل"، دار التنوير، بيروت، ٢٠٠٩

– فتحي المسكيني، "الهجرة الى الانسانية"، منشورات ضفاف، الطبعة الأولى، لبنان، بيروت ٢٠١٦

– سمير خليل وآخرون، التسامح بين شرق وغرب، دراسات في التعايش والقبول بالآخر، ترجمة ابراهيم العريس، دار الساقي الطبعة الثانية بيروت، ٢٠١٦

– فاتن مساكني: من دول افريقيا جنوب الصحراء الى تونس: دراسة كمية حول وضعية المهاجرين في تونس:الملامح العامة، المسارات والطموحات.

– سالفاتورباليدا2011 (Salvatore Palidda) مقدمة، قراءة نقدية للهجرة: اعادة التفكير في الهجرة كحركة انسانية بالمتوسط، دار النشر،كارتالا Migra Karthala httep://www.cairn.info/migration–l9782811104054.htm critiques

– صفاء عباس عبد العزيز ابراهيم الاشاعة وأثرها على الفرد والمجتمع، كلية الاعلام بجامعة السودان المفتوحة، الخرطوم. مجلة البحث العلمي في الآداب، العدد ٢٠ سنة ٢٠١٩

– رومن وباستور Pastore ; Roman تحليل أطر سياسات الهجرة من طرف منظمات المجتمع المدني التونسية: كيف يقيمون سياسات الاتحاد الأوروبي للهجرة؟

– الأسعد العبيدي، لطفي بنور وعلي الجعايدي، العمالة النظامية وغير النظامية للعمال المهاجرين في تونس: خارطة العمال المهاجرين في تونس ووضعهم الاقتصادي والاجتماعي" منظمة العمل الدولية،٢٠١٧

https://www.ilo.org/wcmp5/groups/public/–ed_protect/–protrav/–migrant/ documents

– سامي غربال، العنصرية في المغرب الكبير، مجلة Jeune Afrique ٢٣ أوت ٢٠٠٤ https://www.jeuneafrique.com/99821/archives–thematique/

– منية بن جميع: قمع الهجرة غير النظامية في تونس، المغرب الكبير في مواجهة الهجرة من افريقيا جنوب الصحراء– الهجرة الخارجية مع الهجرة الداخلية (2009) Karthala Editions

-. علي زيعور، الدراسات النفسية الاجتماعية بالعينة للذات العربية، من مونوغرافيا قرية الى التنمية الوطنية، طبعة دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط ٢ يناير ١٩٨٤

- ليليا بن سالم، التحليل الانقسامي لمجتمعات المغرب الكبير، ترجمة عبد الأحد السبتي وعبد اللطيف الفلق، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب ١٩٨٨

Habermas, Jürgen (1984) [1981]. Théorie de l'action communicative Volume Un : Raison et rationalisation de la société (Livre). Traduit par Thomas A. McCarthy . Boston, Massachusetts :BeaconPress. ISBN 978-0-8070-1507-0.

Habermas, Jürgen (1987) [1981]. Théorie de l'action communicative, Volume Deux : Monde de la vie et système : Une critique de la raison fonctionnaliste (Livre). Traduit par Thomas A. McCarthy . Boston, Massachusetts : BeaconPress. ISBN 0-8070-1401-X.